

اتحاد وحلول الكلمة في ظل وحدانية الله عند النصارى

دراسة نقدية

Union and solutions of the word under the unity of God at the Nazaris
Monetary Study

توفيق بن كمال طاس

¹ جامعة ام القرى (المملكة العربية السعودية)،

تاريخ النشر: 2024/05/20

تاريخ القبول: 2024/05/05

تاريخ الاستلام: 2024/04/12

ملخص:

تعرضت في هذا البحث إلى التعريف بالحلول والاتحاد لغة واصطلاحاً، ولا إشكال في الجانب اللغوي المتعلق به، وإنما الإشكال في الجانب الاصطلاحي حيث أدخلوا في معنى الاتحاد والحلول ما ليس منه، بل أدخلوا فيه ما يمتنع تصوره في العقل لاعتباره تعلقه بالأعيان الخارجية. والقول بالاتحاد والحلول عند النصارى فرع عن القول بالتثليث الذي مرده إلى القول بالوهية المسيح، وأمه مريم عليهما السلام، وتبرز عقيدة الاتحاد والحلول في الإيمان بثلاثة أقانيم هي: الأب الذي هو عبارة عن الوجود، والابن الذي هو عبارة عن العلم، والروح القدس الذي هو عبارة عن الحياة، وللنصارى في ذلك أقوال مختلفة متناقضة، حاولوا دعمها وتبريرها بأدلة متشابهة مجملة من كتبهم، وفلسفات عقلية معتمدين في ذلك على قواعد منطقية زادت مذهبهم تناقضاً وغموضاً. ولهذا كان كافياً في إبطال عقائده إظهارها على حقيقتها، ولم أكتف بذلك حيث زدت عليه أنواعاً من الأدلة تؤكد فساد ما اعتقدوه، وما وقعوا فيه من الشرك الصريح، فلا برهان لديهم على ما ادعوه، ولا اطراد لما قالوا من الأباطيل، بل أدلة الوحي كلها قديمها وحديثها شاهدة على بطلان ما ذهبوا إليه من التثليث وعقيدة الاتحاد والحلول.

الكلمات المفتاحية: الاتحاد، الحلول، الكلمة، النصارى.

Abstract :

In this research i will discuss the definitions of unity and incarnation in language and terminology, there is no problem in their linguistic aspect but the problem rise in their terminology, as they introduced to the concept of unity and incarnation what is not of it, even what the mind can't imagine considering attaching it to realistic things.

In Christianity the idea of incarnation and unity is a branch of the concept of trinity which is due to the saying of the divinity of Christ and his mother, and this doctrine of unity and incarnation stands out in its belief of three logos which are: The father which is the existence, the Son which is the knowledge and the Holy spirit which is represent the life, and in Christianity has different contradictory statements they tried to support and justify with similar evidence from their books overall, and with mental philosophy that depends on logical rules which made their ideology more contradictory and ambiguous. It is enough to show their doctrine as it is to invalidate what's in it, But i did not stop there and added different evidence that ensure the corruption of what they believe and the outright polytheism they had fallen into, they have no proof to their proclaims and there is no denying the lies they have told. But rather all -the old and new- divine legislations is a witness to the invalidity of what they believe about the trinity and the doctrine of unity and incarnation.

Keywords: Union, Solutions, Word, Christians

¹ المؤلف المرسل: توفيق بن كمال طاس

1. مقدمة: إن من أعظم النعم التي أنعم الله تعالى بها علينا أن هدانا للإسلام، وأرشدنا إلى طريق الحقّ فيه، وجعل لنا فرقانا نميز به بين الحق والباطل، وأظهر لنا الحجج والبراهين المتنوعة لمعرفة الباطل، وكشف زيفه، لتجنبه، ونتزود بالمعارف الكافية لإبطاله، وإظهار فساده، وتحذير الخلق منه.

ومن هذا الباطل الذي كثر ذكره في القرآن الكريم، وتعددت مسالك إبطاله دين النصارى، الذين أعرضوا عن دعوة عيسى عليه السلام الحقّة، واتبعوا سبيل المبطلين، الذين أعرضوا عما أنزل الله تعالى على عبده المسيح عيسى بن مريم، فكتموا ما أنزل الله إليهم، وأدخلوا فيه ما لم ينزل الله تعالى به سلطاناً، فكفروا بالله،

وجعلوا له شريكا في الملك، وادعوا له ولدا، وقالوا: إنّ الله ثالث ثلاثة، وافتروا في دينهم من الأكاذيب والأباطيل أقوالا ما قالها أحد من البشر، ولا يقبلها عقل.

فرغموا بأن الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا اتحد بالمسيح، وحلّ بجسده، لكن هذا الذي حلّ بالمسيح عندهم إنما هو بعض الله وجزؤه، وهو الكلمة التي هي العلم، فجعلوا كلمة الله تعالى علما أو حكمة، ثم ادعوا لله ثلاثة أقانيم واحدها هذا العلم، الذي اختلفوا اختلافا شديدا وثاروا في تفسيره، هل هو صفة، أو جوهر قائم بنفسه، هل هو شخص أو خاصة، على حدّ ما قالوه، ثم ما الجزء الذي اتحد وحل بالمسيح، وما هي صورة هذا الحلول والاتحاد. كل ذلك أدخل النصارى في تناقضات واضطرابات خالفوا فيها العقل الصحيح، والوحي الذي أنزل الله على رسله. ورأيت بأن الخوض في تفنيد مزاعم النصارى واجب شرعي، وبالأخص لما رأيت من حاجة هذه القضية إلى زيادة بيان في مفهوم الحلول والاتحاد، الذي حاول كثير من الباحثين تفكيك لغزه، من جانب اللغة والاصطلاح، وأغرقوا في تكلف توجيه كلام العلماء في شرح ذلك وتصويره، وغفلوا عن حقيقة مهمة هي أن ما ادعاه النصارى من الحلول والاتحاد لا يمكن تصوّره على وجه صحيح، ولا حقيقة له موجودة في الأعيان، بل هو مجرد اصطلاح تمسكوا به لعجزهم عن إعطاء تفسير مقنع لما اعدوه من التثليث ومن الاتحاد والحلول، وأني لهم ذلك، وقد قالوا على الله قولا عظيما، تكاد السموات يتفطرن منه، وتختر الأرض، وتهد الجبال هداً. وهو ممتنع عقلا، باطل شرعا. وجعلت موضوع هذا البحث بينا اشتمل على إبطال جمع النصارى بين مفهوم التوحيد، والاتحاد والحلول المقتضي للتعدد، وبيان تناقضهم فيه.

سائلا الله تعالى التوفيق والسداد والرشاد.

2. تعريف الاتحاد والحلول.

1.2 تعريف الاتحاد والحلول في اللغة:

الاتحاد في اللغة مأخوذ من الوَحْدَة وهي الانفراد، والواحد: المنفرد. (الزهري، صفحة 124) (الجوهري، صفحة 547)

والاتحاد بهذا اللفظ يندر ذكره في كتب اللغة.

وأما الحلول فمأخوذ من حلّ المكان، وبه، يَحُلُّ وَيَحْلُ حَلًّا وحُلُولًا وحَلَلًا، مُحَرَّكَةً، نَزَلَ به، كَاخْتَلَّ، وبه فهو حَالٌّ، ج: حُلُولٌ وحَلَالٌ، كَعُمَالٍ وَرُكَّعٍ. وَأَحَلَّهُ المكانَ، وبه، وحَلَّلَهُ إِيَّاهُ، وحَلَّ به: جَعَلَهُ يَحُلُّ، عَاقَبَتْ

الباءُ الهمزة. وحالة: خلَّ معه. (الجوهري ، صفحة 1672) (ابو العباس الفيومي ، صفحة 147) (الفيروز ابادي، 2005، صفحة 986)

2.2 تعريف الاتحاد والحلول في الاصطلاح:

1 تعريف الاتحاد:

وهو: جعل حقيقتين متنوعتين إحداها هي الأخرى. (ابن تيمية، 1429هـ، صفحة 172)
قيل: الاتحاد امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً. (الجورجاني ، صفحة 172) وهذا المعنى قريب من الأول.

وقيل: هو تصوير الذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعداً. (الجورجاني، 1938، صفحة 8) وفي جعله الأعداد ذواتاً نظراً؛ لأن الأعداد لا حقيقة لها مجردة موجودة في الخارج، بل الحقيقة للمعدودات، ويرجع مفهوم الاتحاد في المعدودات إلى التعريف الأول.

وقد يطلق الاتحاد ويراد به معانٍ أخرى نحو: صيرورة شيءٍ شيئاً آخر بطريق الاستحالة، أي: التغيير والانتقال، كما يقال صار الماء هواء، والأسود أبيض.

أو يراد به صيرورة شيءٍ شيئاً آخر بطريق التركيب، وهو أن ينضم شيءٌ إلى شيءٍ ثانٍ فيحصل منهما شيءٌ ثالث، كما يقال: صار التراب طينا، والخشب سريرا، ولا شك في وقوع الاتحاد بهاذين المعنيين.

وأما ما هو المتبادر منه عند الإطلاق، وهو المفهوم الحقيقي له، وهو أن يصير شيءٌ بعينه شيئاً آخر، من غير أن يزول عنه شيءٌ، أو ينضم إليه شيءٌ؛ فهذا المعنى باطل بالضرورة. ⁽¹⁾ (إبي البقاء الكفوي، 1993، صفحة 36)

وهذا الأخير الذي سبقت الإشارة إليه في التعريف الأول والثاني، هو مراد أصحاب القول بالاتحاد من سائر الطوائف سواء أكان الاتحاد العام أو الخاص. وهو باطل ممتنع كما سيأتي بيانه في ثنايا هذا البحث إذ هو موضوعه.

2 تعريف الحلول:

وهو: أن يكون شيء حاصلًا في شيء ومختصًا به ساريا فيه. (إبي البقاء الكفوي، 1993م،، صفحة 390) (احمد نكري ، صفحة 83)

والمراد بالحصول: ما لا يكون بطريق الاتحاد بل بطريق الافتقار.

وأما السرية: فالمراد بها السرية الذاتية، لا السرية الحاصلة بواسطة المحل الذي الحلول فيه لا يكون فيه استحالة أو امتزاج، كحلول الأعراض في المحل، وحلول النار في الجرم ونحو ذلك. (محمد علي التهناوي، صفحة 707)

وقيل: حلول الشيء في الشيء عبارة عن نزوله فيه (احمد نكري ، صفحة 83) ، وهذا وإن كان هو المطابق للمعنى اللغوي إلا أنهم لا يريدونه من جهة الاصطلاح.

ومن قيد التعريف بقوله: بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، بأن يكون المراد أنه لا يتحقق الإشارة إلى أحدهما إلا وأن يتحقق الإشارة إلى الآخر بالذات كحلول الأعيان في الأعيان، أو بالتبعية كحلول الأوصاف في الأعيان، أي لا يمكن عند العقل تباينهما في الإشارة. وبأن يراد بالإشارة أعم من العقلية والحسية.

وعليه يكون التعريف أعم مما يراد في موضوعنا هذا، وهو خارج عن مقصود أهل الحلول من سائر الطوائف، ولذلك قد يكون التوسع في جمع كل ما قيل في الحلول من المعاني الموضوعية له اصطلاحا هو خروج عن الموضوع، أو محل النزاع من جهة، ومن جهة أخرى فيه مغالطة وتلبيس على مبتغي تصور وتحرير اللفظ ثم الحكم عليه.

وقيل: معنى حلول شيء في شيء هو أن يكون وجوده في نفسه هو بعينه وجوده لذلك الشيء. (محمد علي التهناوي، صفحة 707)

وعند التأمل يظهر أن هذا التعريف بعينه لا يختلف عن تعريف الاتحاد، ومنه يتبين وجه رأي من ذهب إلى أن الاتحاد والحلول شيء واحد، أو بمعنى واحد، وهو رأي شديد لمن ذهب إليه، لكن من وجه دون آخر، كما أشار إلى ذلك كل من ذكر للحلول نوعين: الحلول السرياني، والحلول الطرياني.

فالحلول السيرياني: هو أن يكون الحَال ساريا في كل جزء المحل، أو هو عبارة عن اتحاد جسمين، كحلول ماء الورد في الورد، ويسمى الساري حالاً، والمسري له محلاً.

وفي تسمية هذا حلاً نظراً؛ لأن ماء الورد جزء من الورد؛ إذ لم يحصل له نموّ إلاّ به، فهما متلازمان لا انفكاك بينهما، فلا يوجد حالّ ومحل، كما أوهم، ولو قيل كحلول الماء في اللبن مثلاً، لكان مقبولاً. وتستجد هذا النوع من المغالطة في هذا الباب كثيراً، يجعل مفهوم الحلول أكثر غموضاً عند القائلين به، قد يعسر فهمه لذلك، بل يمتنع تصوره في أحيان كثيرة.

وفي الحُلُول السيرياني انسام الحال يستلزم انقسام المحل، والعكس كذلك، خلافاً للحلول الطرياني. وهذا النوع من الحلول ملازم للاتحاد؛ لأن في كليهما يوجد غَيْرُين ارتبط واتصل أحدهما بالآخر تداخلاً وامتزاجاً.

وأما الحلول الطرياني: فهو عبارة عن كون أحد الذاتين محلاً للآخر، كحلول الماء في الكوز، ويقال له الحلول الجوّاري أيضاً. (ابو البقاء ، صفحة 390) (احمد نكري ، صفحة 38) (محمد علي التهنوي، صفحة 707)

وقد قيل أيضاً في تعريف الحلول أنّه: الاختصاص الناعت، أي التعلّق الخاص الذي به يصير أحد المتعلقين نعتاً للآخر والآخر منعوتاً به، والأول أعني الناعت يسمّى حالاً، والثاني أعني المنعوت يسمّى محلاً، ويطلق على هذا النوع أيضاً فيقال عنه اتحاد، وأدخلوا في هذا المعنى الأخير الماهيات الموجودة في موضوع أو محل، والتركيب الحاصل من المحمول والموضوع، ومن الأعراض والجواهر، ومن الجنس والفصل، ومن الصفة والموصوف ونحو ذلك مما هو مصطلح عليه عند المنطقيين التركيب الحملي أو الاتحاد الحملي، وتسمية ذلك حلاً هو مجرد اصطلاح وضعي تعارف عليه أهل هذا الفن، ولا حقيقة له خارجية موجودة في عالم الأعيان، فلا وجود في الخارج لذات كانت مجزأة ينفصل فيها العرض والجوهر، أو الجنس والفصل، أو الصفة والموصوف ثم تركبت بعد الانفكاك، وإنما هي ذات واحدة قامت بها صفة أو صفات، وما يتصور من الأجزاء والانفكاك فإنما هو تصورات ذهنية لا توجد منفصلة أو منفكة خارج الذهن. وبسبب عدم التفريق بين التصورات

الذهنية والماهيات الموجودة في الخارج، نشأ غلط كثير من الناس في مفهوم الحلول والاتحاد، وتوهم وجود تلك الحقيقة المتصورة في الذهب خارجيا، كما سيأتي بيانه عند النقد في آخر البحث. (ايحي، الصفحات 217، 308-312، 401، 418) (محمد علي التهنوي، صفحة 707)

3 الفرق بين الاتحاد والحلول:

أما الفرق بين الاتحاد والحلول المصطلح عليه بين أصحاب عقيدة الاتحاد والحلول سواء العام منه أو الخاص فليس وراء الخوض فيه كبير فائدة، نظرا لكون معناه لا حقيقة له في الخارج، بل وجودها ممتنع كما سيأتي بيانه في آخر الفصل.

ولا بأس من الإشارة إلى أهم ما قيل في الفرق بين الاتحاد والحلول تنمة لأطراف وأجزاء البحث المعتادة، فالإتحاد هو صيرورة الشئين أو الأشياء شيئا واحدا لا يتصور فيه الانقسام والتجزئة، بينما الحلول فهو أعم حيث قد ينتج عنه اتحاد، وقد لا ينتج عنه ذلك بل يكون قابلا للانقسام والانفكاك مقتضيا للمغايرة، كما سبق الإشارة إليه في تعريف كل من الاتحاد والحلول.

وقد أطلت في شرح حدّ الاتحاد والحلول لغة واصطلاحا لأن أكثر ما يأتي في البحث من تصوير مذاهب النصارى، أو نقض أقوالهم أكثره مبني على بيان وتصور هذه الحدود. (ابن تيمية، 1429هـ، الصفحات 169-171)

4 صور تجسد أقنوم الكلمة في المسيح عند النصارى:

ذهب النصارى إلى أن الله تعالى جوهر واحد ثلاثة أقانيم هي الوجود والعلم والحياة المعبر عنها عندهم بالأب والابن وروح القدس على ما يقولون: آبا، ابنا، روحا قدسا، ويعنون بالجوهر القائم بنفسه وبالأقنوم الصفة أو الخاصة كما سبق بيانه، وله تناقض شديد في كونه جوهرًا واحدًا أو جوهران، أم هم ثلاثة جواهر إذا ألقنا الروح القدس، وجعل الواحد ثلاثة جهالة أو ميل إلى أن الصفات نفس الذات واقتصارهم على العلم والحياة دون القدرة وغيرها جهالة أخرى وكأنهم يجعلون القدرة راجعة إلى الحياة والسمع والبصر إلى العلم ثم قالوا إن الكلمة وهي أقنوم العلم اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته بطريق الامتزاج كالخمر بالماء عند الملكائبة وبطريق الإشراق كما تشرق الشمس من كوة على بلور عند النسطورية وبطريق الانقلاب لحما ودما

بحيث صار الإله هو المسيح عند اليعقوبية ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت كما يظهر الملك في صورة البشر وقيل تركب اللاهوت والناسوت كالنفس مع البدن وقيل إن الكلمة قد تداخل الجسد فيصدر عنه خوارق العادات وقد تفارقه فتحله الآلام والآفات. (الفتازاني، 1989، صفحة 69)

وقد ذكر النصارى في تعلق الكلمة بالمسيح صوراً وأمثالا فذهبوا إلى أنه تجسد من الروح القدس، ومن مريم فمنها أخذ الطبيعة البشرية أو الناسوت - أي الروح الإنساني، والجسد الإنساني -، والروح القدس الرب المحيي الخالق كَوّن الجنين في أحشائها من زرع بشر، ودون أن يصنع من خارجها شيئاً من المادة، أو من مقومات الطبيعة البشرية، فهو قد أخذ منها كلّ ما يخص الطبيعة البشرية وصنع منها الجنين؛ لأنه بدون الزواج كان لا يمكن أن يوجد جنين بالطبيعة البشرية.

ولأنّ الناسوت الذي تكون في بطنها هو من الروح القدس وعمله، وإرادة الآب، ومسرة الابن الوحيد كان بلا خطية.

والخلاصة هي أن الروح القدس؛ لأنه هو الرب الخالق المحيي، فبعمله في سرّ التجسد استطاع أن يكون من العذراء القديسة مريم الطبيعة البشرية الخاصة، التي يتّحد بها كلمة الله، فقد أخذ من العذراء ما يريده الكلمة ليتّحد به.

وقالوا: إنّ اللاهوت كلمة الله اتّحد بالناسوت في لحظة التجسد نفسها، في زمن قيمته صفر تمّ التجسد الإلهي، تكوّن الناسوت واتّحد اللاهوت بالناسوت.

وكأنّ هذا التصوير بالنسبة إليهم يحلّ مشكلة كبيرة عندهم وهو أنّ ما يقولونه إنّما هو تأليه للإنسان، فقالوا: نحن نؤمن بإله تجسّد وليس بإنسان تألّه، بالمسيح ليس بإنسان صار إلهاً عندهم، لكنه كلمة الله الذي ظهر في الجسد.

وقد تنوعت سياقاتهم في التعبير عن هذا المعنى، وكأنّ ذلك سيحدث فارقاً في حقيقة الأمر، فقالوا: اللاهوت اتّحد بالناسوت في التجسد، وفضلوا التعبير بقولهم: لقد وجد الناسوت في الاتحاد، أي أن الناسوت وجد

داخل عملية الاتحاد، أو أنّ حدوث الاتحاد كان أثناء تكوين بداية الناسوت من مريم بدون وجود فاصل زمني بينهما، بمعنى أنه حدث في لحظة الاتحاد نفسها.

وقالوا: إنّ التجسد الإلهي هو اتحاد حقيقي، بحسب الطبيعة بين اللاهوت والناسوت، اتحاد أقنومي يفوق العقل والإدراك، وليس هو اتحاداً بين أشخاص، بل اتحاد بين الطبيعتين في شخص واحد. والاتحاد الطبيعي عندهم هو ما يتكوّن من الطبائع الداخلة في تكوينه، طبيعة واحدة باتحادها مع بعضها البعض.

وذكروا لذلك مثالا: وهو الإنسان الذي يتكوّن من طبيعتين مختلفتين متباينتين في عنصريهما، أي من جوهرين أساسين هما الجسد والروح، وحينما تتحد هاتان الطبيعتان تتكوّن الطبيعة الإنسانية التي هي طبيعة واحدة، فهو اتحاد بين طبيعتين يكونان طبيعة واحدة بغير اختلاط ولا امتزاج، ولا تغيير للطبيعتين معا.

وقالوا: لم يأخذ كلمة الله شخصا من البشر ليتحد به، ولكنه أخذ طبيعة بشرية واتحد بها، لذلك ليس هو اتحاداً بين أشخاص، إنّما اتحاد بين طبيعتين في شخص واحد فريد، فالمسيح ليس شخصين - شخص إله وشخص إنسان - لكنه شخص واحد جمع الطبيعتين في شخصه الواحد الفريد. ولهذا لم يتحول اللاهوت إلى ناسوت، ولا الناسوت إلى لاهوت، ولكن في اتحادهما معاً، ونتيجة لهذا الاتحاد كان شخص المسيح الإله الكلمة المتجسد. (الشعراوي، الصفحات 26-22) (رافت عماري، 1992، الصفحات 11-19)

وقالوا: طبعي أن يضع الوحي أقنوم الكلمة في ذات الله الواحد قبل كلّ شيء أمامنا؛ لأننا نحتاج أن نتعرف على ذلك الذي يخرج من حضن الله، ويتكلم معنا نيابة عنه، نحتاج أن نرتبط به، نعرفه ونتعرّف عليه، كونه قد قبل أن يصير إنسانا مثلنا ولكن بدون خطيئة، لكي نصبح في اطلاع خاص على جوهر اللاهوت الذي يشترك به منذ الأزل. فالله الذي لا يرى من الإنسان في مجده وفي عظمته يجب أن يتعرف عليه في كلمته، الذي تجسد وصار بصورة إنسان مثلنا، لكي يساعدنا في فهم الله وفي التعرف عليه.

وقالوا: إنّنا قبل أن ننظر إليه كفرد صار يعيش بيننا في العالم نحتاج أن نراه ككائن أزليّ قائم في ذات الله الواحد. لكي نعبده ونحبه ونقدر شأنه حقّ التقدير، فنفهم من إنجيل يوحنا أنّه أزليّ، ونفهم أنّه حكمة الله المنطوقة خارج ذاته، وأنّه مجال التعبير اللاهوتي الوحيد عن الله وعن جوهره، فلا مجال لرؤية الله الحقيقي إلّا

في المسيح، وفي شخصيته اللاهوتية، كونه الأفتوم المعبر عن ذات الله وجوهه. (رافت عماري، 1992، الصفحات 9-10)

فاتّحاد الكلمة بالطبيعة البشرية اتّحاد حقيقي جوهريّ أفتوميّ، وهو اقتران طبيعة تامة محدودة، بطبيعة كاملة غير متناهية، تقوم لكاملها وعدم تناهيها مقام الطبيعة التامة المحدودة المقترنة بها، كما اتحدت الطبيعة الإنسانية المتّخذة من مريم بالطبيعة الإلهية بواسطة أفتوم الكلمة، وبتخلي الإنسانية عن وجودها، وقيامها بالاتّحاد بالكلمة الأزلي الغير المتناهي، ففي المسيح أفتوم إلهي واحد، بطبعتي إلهية وإنسانية، تراوحت بينهما أعماله، فما كان منها إنسانا كالأكل والشرب والأعمال الناصبة بالطبيعة الإنسانية، وما كان إلهيا كالخوارق والمعجزات فبالطبيعة الإلهية، على حدّ ما يأتي الإنسان من الروحانيات كالفكر والإرادة، ومن الماديات كالأكل والشرب، يتمّ منها شيء في نفسه، وشيء في جسده، وكلها ناتج من اتّحاد الروح بالمادة، ومعزوّ إلى شخصه المفرد.

والطبيعة الفردية - أي لكل واحد من الأفتانيم - تمتاز من وجودها بأنّها كامنة مستقرة في التصور، فإذا برزت من القوّة إلى حيّز الفعل، كان هذا البروز وجودها المميّز لها من حالتها فيما قبله، وتصير بعده إلى الانفصال عنه، وإلاّ لزم أن تكون ضرورية فيلازمها الوجود، ومن ثمّ تكون أزليّة أبدية، وما هي بالأزلية؛ لأنّها لم تكن في كلّ زمان، ولا هي بالأبدية؛ لأنّها صائرة إلى الزوال بالموت بعد وجودها، على أنّ وجود الطبائع الفردية جمعاء غير ضروري، ولا يستحيل إعدامها بعده.

وكلّ شيئين من ماهية واحدة يتجانسان في الماهية، ويتباينان في الوجود، كالجلد منه دفئا الكتاب، وصفحتنا الطبل، وهو في الشكّلين من طبيعة واحدة.

ومعلوم أن الطبائع الفردية تمتاز من وجودها، بالفرق بين الموجود ووجوده، فتقول إنّك موجود، ولا تقول إنّك الوجود. وإذا صحّ هذا الامتياز، صحّ أن تتخلى تلك الطبيعة الإنسانية المتّخذة من مريم عن وجودها، وتقوم بأفتوم الكلمة الإلهي متّحدة به. (بولس سباط، 1924، الصفحات 62-66)

وقد بلغ التناقض والاضطراب عند النصارى في أمر التجسد والاتحاد غايته، فأوهموا بأنّ ولادة المسيح وهو عندهم الابن هي ولادة روحية لا جسدية، ولا بشرية، بل هي ولادة روحية، بحيث لا تحتل أيّ تفسير بشريّ جسديّ مهما كان نوعه، وهذا ما فسروا به استبدال يوحنا الرسول التعبير عن "الابن" بلفظ "الكلمة"، والتي هي باليونانية "لوجوس" [Logos]، وزعموا أنّه استعمل هذا التعبير تفاديا لأيّ تفسير مشوّه. وقالوا: عندما نقول: "ابن الله" من الطبيعي أن يكون هذا الابن بالمعنى الروحيّ، تلك الكلمة التي لفظها الله، وهي كلمة روحية، ولهذا فلفظ الكلمة مكمل للفظ الابن، يكسبه مذاقا روحيا؛ لأنّ الولادة ولادة روحية. (هنري بولاد ، 2001)

وما نقلته عنهم من مذاهبهم تحريت الالتزام فيه بأقوالهم ونصّ عبارهم حتّى يكونوا هم أنفسهم من يعبر عن معتقداتهم؛ لئلا يُتَوَهَّم منّا التقلّد عليهم، أو تحريف كلامهم والمزايدة عليه، وتركت الحشو من كلامهم قصد الاختصار.

المبحث الثاني: اضطراب وتناقض النصارى بين التوحيد والقول بالاتحاد والحلول.

إنّ النصارى في ظاهر أمرهم يزعمون بأن دينهم خلاف الوثنية، وأنهم يقولون بالتوحيد، وهذا ما يدعيه عامتهم وهو الذي قرروه في أمانة العهد لديهم، حيث قالوا: "نؤمن بالله الواحد الأب ضابط الكل مالك كل شيء مانع ما يرى وما لا يرى وبالرب الواحد يسوع بن الله الواحد بكر الخلائق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها وليس بمصنوع اله حق من إله حق من جوهر أبيه" (أحمد طه ، 2013، صفحة 9)

والنصوص الصريحة التي في كتبهم من العهد القديم الذي هو عبارة عن التوراة عندهم، والعهد الجديد الذي هو عبارة عن الإنجيل عندهم تدل ببيّنة من القول على أنّ الإله واحد، وأن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هو عبّد رسول أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل، وأنّه يعبد الله ويوحّده، ويدعوه ويصلي له، وأنّه يتصف بكل صفات البشر؛ ولد من رحم أمّه وإن باين سائر الخلق في طبيعة ولادته، ويجوع ويعطش، ويأكل ويشرب، ويتعب وينام، ويحصل له من كل ما يحصل للبشر، ثمّ خصه الله تعالى بخصائص كما خص بها سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لا يفارقهم في شيء من ذلك.

وهذه بعض نصوص العهد القديم والجديد الدالة على ما سبق بيانه:

(اعلم اليوم وردد في قلبك: أن الرب هو الإله في السماء من فوق. وعلى الأرض من أسفل ليس سواء)
[تثنية 4:39].

(الربّ إلهنا إله واحد) [تثنية 6:4].

(الرب إلهنا رب واحد) [لوقا: 12: 30]

(أنا الرب وليس آخر. لا إله سواي) [إشعيا 45:5].

(أبيس أنا الرب، ولا إله آخر غيري. إله بار، ومخلص، ليس سواي) [إشعيا 45/21].

(الله واحد هو) [رومية 3: 30].

(ليس إله آخر إلاّ واحداً؛ لأنه وإن وجد ما يسمى آلهة. سواء كان في السماء أو على الأرض. كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون. لكن لنا إله واحد. الآب الذي منه جميع الأشياء. ونحن له) [1كورنثوس 8: 4-6].

(المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذي وحده له عدم الموت ساكنا في نور لا يدنى منه. الذي لم يره أحد من الناس. ولا يقدر أن يراه. الذي له الكرامة والقدرة الأبدية) [1تيموثاوس 6: 15-16].
ولما أطعم الخمسة آلاف إنسان من خمسة أرغفة قالوا: " فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم" (يوحنا 6/14).

وقد قال بولس معترفاً برسالته وبشريته: "لأنه يوجد إله واحد، ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح" (تيموثاوس 1) (2/5).

وذاث يوم وقبل اختياره للتلاميذ " خرج إلى الجبل ليصلي، وقضى الليل كله في الصلاة لله، ولما كان النهار دعا تلاميذه" (لوقا 6/12) فلمن كان الإله يصلي طوال الليل منفرداً؟ هل كان يصلي لنفسه؟ أم للآب الحال فيه؟ وهل تجوز عبادته وهو على هذه

وقد حاول الشيطان أن يغويه، فلم يقدر، وأجابه يسوع وقال: "اذهب يا شيطان، إنه مكتوب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد" (لوقا 4/6 - 8).

وقال عن نفسه: "وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله" (يوحنا 8 / 40)، فهذه شهادة صريحة منه عليه الصلاة والسلام أنه مجرد إنسان، أرسله الله تعالى بالحق والهدى بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه يهدي الناس إلى صراط مستقيم. (محمد رحت الله الهندي ، 1989، الصفحات 736-742) (ابي البقاء الهاشمي ، 1998، صفحة 230) (القرطبي ، صفحة 249)

فهذه نقول من أصول مراجعهم المعتمدة وغيرها كثير، صريحة البيان أنّ المسيح ليس إلّا بشرا، وأنّه رسول من الله لتبليغ رسالته، وأنّ الإله واحد لا شريك له في خلقه وملكه وعبادته، وهذا ما يدعي القول به النصارى، ثمّ يقولون بعد ذلك في المسيح أنّه ابن الله، وأنّه أحد الأقانيم التي تُكوّن الذات الإلهية، ويقولون بأنّ هذه الأقانيم هي مجرد أسماء لمسى واحد، ولرب واحد، ولخالق واحد، ويعبرون عنها بأنها أشخاص، أو صفات، أو أصول، أو خواص، أو طبائع، على اختلاف بينهم في ذلك، وهم في ذلك مضطربون متناقضون لا يستوعبون ما يقولونه، وليس لديهم تصور لما يعتقدون، بل هم في شكّ منه مريب، واجتمع قولهم كما في أمانة عهدهم على أنّ المسيح هو الكلمة مولود من الله قبل كلّ الدهور، ويقولون: إنّ الإله الخالق، وإنّ إله حقّ من إله حقّ، وإنه من جوهر أبيه مولود غير مخلوق، مساو الأب في الجوهر، وهذه أوصاف لذات جوهرية منفصلة، وأضافوا فوق الإيمان بالابن إيمانهم بروح القدس وأقروا ذلك في مجمع القسطنطينية، ووصفوه في أمانة العهد عندهم بأنّه الرّبّ المحيي المنبثق من الأب الذي مع الأب مسجود له ممجد، وهذه أيضا أوصاف لذات جوهرية منفصلة، فصارت بذلك ثلاثة آلهة. وفي ذلك كله جمع بين النقيضين، من كون الإله واحدا من جهة، ومن جهة أخرى يكون الابن عندهم إلها وخالقا، وجوهرا قائما بنفسه، وهذا ما ينفي عن قولهم الإجمال والاحتمال؛ لأنهم يصرحون بأنّه جوهر آخر، ولو لم يقولوا بأنّه جوهر آخر - مع أنّه حقيقة قولهم - للزمهم أن يكون المسيح هو الله، وأنّه هو نفس الإله الواحد الأب، وهم لا يظهرون ذلك؛ لأن هذا أعظم الكفر والإلحاد الذي يفرون من إظهاره والتصريح به، ومع أنّهم لا يلتزمون إلاّ أنّه هو حقيقة قولهم، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه فقال: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: 72]، وقال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ

ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُهُمْ إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ {التوبة: 30-31}.

فمن جهة يقولون هو الله، ومن جهة أخرى يقولون هو ابن الله، والقولان جميعا يقولهما طوائف النصارى، وحقيقة قولهم، ودلائل حالهم كلها تؤدّي إلى كون المسيح إلهاً، كما سبق ذكره؛ إما على أنه إله مع الله، أو أنه هو الله نفسه، والمسيح عندهم هو إله كله، وإنسان كله؛ فهما طبيعة واحدة، وشخص واحد، تركبنا من طبيعتين: إحداها طبيعة اللاهوت، والأخرى طبيعة الناسوت. (نصر بن يحيى المتطبب، 1986م، صفحة 170)

ومثل الذي يقولونه في الكلمة والابن قالوه في الروح القدس، وأنه إله ثالث، كما سبق ذكره عنهم من أمانة العهد لديهم، فهم نصوا وصرحوا بثلاثة آلهة ثم يقولون بعدها بأنّ النصرانية تعترف بوحدانية الله قبل أن تعترف بمذهب التثليث، وأنّ غيرهم يتهمهم بأنهم مشركون يعبدون ثلاثة آلهة، ويحتجون عليهم في ذلك بأنّ كتاب العهد القديم والجديد الذي هو مرجعهم الأساسي يتضمن نصوصا صريحة في مذهب الوحدانية في النصرانية. (هنري بولاد ، 2001، صفحة 13) (إيليا مطران ، 1434 هـ،، صفحة 95) (سمعان بن كليل القبطي) غافلين عن كون هذا الالتزام بأنهم يقولون بإله واحد يقيم عليهم الحجة في بطلان ما صرحوا هم به في عقيدتهم من القول بالتثليث، والإيمان بثلاثة آلهة كما سبق إيضاحه.

فالناس لم يتقوّلوا عليهم شيئاً لم يقولوه، بل هم صرحوا بتعدد الأرباب والآلهة كما في أمانة العهد عندهم، وفي سائر كلامهم واستدلالاتهم التي لا تخصى كما هو مسطور في كتبهم، منها التي أشرنا إليها سابقاً، فهذا ليس شيئاً ألزمهم الناس به، وتقوّلوه عليهم بل هو صريح أقاويلهم.

واختلفوا اختلافاً شديداً في طبيعة أقنوم الكلمة، ولهذا أول ما يُحتاج إلى تقديمه في هذا المقام ذكر تفاصيل كلام النصارى، وبيان اختلاف أقوالهم في أقنوم الابن الذي هو أقنوم الكلمة، هل هو مجرد الصفة التي هي العلم عندهم، أم الذات مع الصفة، وهل هي مصحوبة عند التجسد مع الصفات الأخرى، أم منفصلة عنها،

ولهم في ذلك مذاهب وآراء متباينة، وهم فيه متناقضون، متدابرون، ولإيضاح اختلافهم وتناقضهم في هذا الأمر لابد من عرض الاحتمالات الواردة على مذاهبهم في ذلك بناء على ما تقدم شرحه من معنى الكلمة عندهم وارتباطها بالجواهر والأقانيم، وصورة الحلول والاتحاد والتجسد، فهي عبارات تأسست عليها ديانة النصارى وعقائدهم، ومن أراد تصوّر مذاهبهم وخلفيات آرائهم كان عليه أن ينظر في تلك الأصول التي تأسست عليها، ويفهم مصطلحاتهم التي تكلموا بها، والتي اتخذوها سبيلا للمغالطة والتمويه على الناس، ويعرف اختلافهم وتناقضهم فيها، حينئذ تنكشف له حقيقة أقوالهم، وأسباب حيرتهم وتناقضهم التي جعلتهم عاجزين عن ذكر تفسير مقنع لكلامهم.

فالكلمة هل هي العلم أم الحكمة أم النطق، وهل المسيح هو كلمة معينة، أم جميع كلام الله، وهل هي قائمة بالموصوف بها، أم قائمة بنفسها، وهل عند اتحادها بالمسيح انتقلت عن الأب، أم بقيت قائمة به، أم تجزأت، وكونها مولودة، هل حصل ذلك في الأزل، أم عند ولادة المسيح، ثم تتكرر في هذا المقام الأسئلة السابقة من انتقالها أم عدم انتقالها، وهل الكلمة تكون إلها وخالقا، أم الخالق هو رب العالمين الموصوف بالكلام وغيره من الصفات. وهذه أسئلة وإيرادات كثيرة، وغيرها كثير أيضا لا يكاد يحصى إلا بعسر، وبسبب ذلك يلجأ أكثر النصارى عند العجز عن الجواب إلى اختيار النكول والتوقف عن تقديم إجابات عما يورد عليهم من أسئلة واستشكالات، كما قال طومس هوبز: وان القول بوجود ثلاثة أقانيم في هذه الوحدة الإلهية له سر غامض لا يدركه العقل، ولا بد أن تعتقده بإيمان الوثائقين . (ويليام جيمس ديورانت ، 1988، صفحة 131)

وليس المراد هنا تفصيل مقالاتهم في هذا الباب، والباطل لا يكاد تفصيله ينضبط لكثرة ما يعتريه من التناقض والفساد، وإنما المقصود هو الكلام على مجمل مذاهبهم، التي نجعلها مدخلا وتمهيدا لتفصيل القول في أقنوم الكلمة وارتباطه بذات الله تعالى وصفاته، وما جرى عليها من التحريف والفساد عند النصارى، ونشرح من ذلك ما يكفي لتصوير حقيقة ما ذهبوا إليه وإبطال استدلالهم على دعوى صحة دينهم الذي وقع عليه التبديل، وعلى ما أجمعوا عليه من القول بالتثليث، وما اتفقوا عليه من صرف التثليث إلى الأقانيم التي هي الوجود، والعلم، والحياة، وما زعموا من اتحاد الكلمة التي هي العلم بناسوت المسيح، حتى المسيح عندهم

اسما لكل من اللاهوت والناسوت، اسما لكلٍ من الخالق والمخلوق، حيث إنّ أحدهما متّحد بالآخر، وكلامهم أيضاً في الجوهر ومغايرته للأفانيم، وغير ذلك مما لا حجة لهم فيه لا من عقل صحيح، ولا من شيء من الكتب المنقولة عن الأنبياء المتقدمين التي يحتجون بها، بل هي حجّة عليهم، وليس في شيء منها ما يصح أن يكون حجة لهم.

بل ما يذكرونه من شرح وتعليل لأقوالهم، أو استدلال لأرائهم، وللمصطلحات التي عبروا بها عن ذلك، تنعكس عليهم حجته، وتفتح عليهم من الأسئلة القادحة في قولهم ما لا يمكنهم الإجابة عنه.

ومن جملة ما يقال لهم: هذه الكلمة التي هي عبارة عن الابن والتي يسمونها تارة بالعلم، أو الحكمة، هل هي صفة قائمة بغيرها، أو عين قائمة بنفسها؟

هاذان سؤالان رئيسان هما محور الكلام على الاتحاد والحلول، وما يقترن به من معنى تجسد اللاهوت بالناسوت المزعوم عندهم، ومحصل قولهم على اختلاف وتنوع عباراتهم يرجع ويؤول في هذا الأصل إلى ثمانية افتراضات: حلول ذات الله في بدن المسيح، أو حلول ذات الله في روح المسيح، أو اتحاد ذات الله ببدن المسيح، أو اتحاد ذات الله بروح المسيح، أو حلول صفة الله في بدن المسيح، أو حلول صفة الله في روح المسيح، أو اتحاد صفة الله ببدن المسيح، أو اتحاد صفة الله بروح المسيح.

فهذه هي الوجوه المعقولة في هذا الباب، وهو تقسيم حاصر يقتضي فساد مذاهبهم على جميع تلك الوجوه كما سنبينه تالياً.

وقد لخص الرازي هذه الاحتمالات في جملة مختصرة ذكره بعدما صرّح بتخبط النصارى جدّاً في مذهبهم في الاتحاد والحلول، قال: «ثم نقول للناس قولان في الإنسان منهم من قال إنه هو هذه البنية أو جسم موجود في داخلها ومنهم من يقول إنه جوهر مجرد عن الجسمية والحلول في الأجسام فنقول هؤلاء النصارى إما أن يعتقدوا أن الله أو صفة من صفاته اتحد ببدن المسيح أو بنفسه أو يعتقدوا أن الله أو صفة من صفاته حل في بدن المسيح أو في نفسه أو يقولوا لا نقول بالاتحاد ولا بالحلول ولكن نقول إنه تعالى أعطاه القدرة على خلق الأجسام والحياة والقدرة وكان لهذا السبب إلهاً أو لا يقولوا بشيء من ذلك ولكن قالوا إنه على سبيل

التشريف اتخذهُ ابناً كما اتخذ إبراهيم على سبيل التشريف خليلاً فهذه هي الوجوه المعقولة في هذا الباب والكل باطل» (الرازي، 1420، صفحة 531) (التفتازاني، 1989، صفحة 57) (الجورجاني، 1938، صفحة 32) (إبي البقاء الهاشمي، 1998، صفحة 304)

ثم استطرد في مناقشة أقوالهم بكلام خلط فيه أقوالاً صالحة بأخرى مجملة موهمة لبس فيها الحق بشيء من جنس استدلالات المتكلمين مخلوطة بشيء الفلسفة تحاشيت نقلها لئلاّ أنشغل بتصحيحها والعدول عن مقصودي في الردّ على فساد مذاهب النصارى في القول بالاتحاد والحلول، وصدّر كلامه مبناه على مذهب من يقول بأنّ الوجود زائد على الماهية في الخارج، أو من يذهب إلى تركيب الأجسام من جوهرين بسيطين هما المادة والصورة، كما قد سبق بيانه قريباً، وكلّ ذلك من مقالات الفلاسفة التي تأثّر ببعضها المتكلمون.

أما القول بالاتحاد والحلول فهو ممتنع ضرورة كما سيأتي بيانه في آخر البحث.

وقد عظم اضطراب النصارى، واشتد تناقضهم فيه، وكثر اختلافهم في تصويره وبيان حقيقته، ولم يقدروا على أن يأتوا بمثل يفسرونه به، فصار كلّ منهم يقول قولاً باطلاً يردّ به على باطل آخر، مردّ تلك الأقوال إلى أصول فاسدة نتجت عنها مذاهب باطلة، وهذا شأن النصارى في مذاهبهم في اتحاد وحلول اللاهوت في الناسوت، حيث جعلوا الجوهر الواحد جوهرين بل ثلاثة جواهر، وقالوا إذا اتحد وتحدّ يكون كلمة وائناً، وانتفى أن يكون أباً، فهذا الجوهر الواحد عندهم يتحدّ باعتباره كلمة، ولا يتحدّ باعتباره أباً ووجوداً. واضطربوا وخلطوا خلطاً كبيراً حيث جعلوا الكلمة صفة لله تارة، وهي بمعنى العلم عندهم، وجعلوها تارة أخرى جوهرًا قائماً بنفسه، وهو على هذه الصورة اتحد بالمسيح الذي هو الناسوت. وهذا تحريف ظاهر لمسمى صفة الكلام.

وقد ضاهى النصارى في هذا التحريف طوائف الجهمية إذ زعموا أنّ الكلام هو مجرد معنى في النفس، ثم لا هو العلم ولا الإرادة ولا شيء من جنس ذلك، وقالوا: هو شيء واحد، وحقائق مختلفة، ومع هذا فإنه لا يوجد في طوائف المسلمين رغم ما حصل لدى كثير من المبتدعة المعطلة للصفات من أنواع الانحراف والضلال، لكن لم يقل أحد منهم إنّ الكلام جوهر قائم بنفسه كما فعلت طوائف النصارى، إلّا ما يروى عن بعض

المعتزلة القائلين بأن الكلام هو جسم من الأجسام. أو من ذهب منهم إلى أنّ كلام الله قائم بالمخلوق، كما ادعى النصارى أن الكلمة تجسدت وقامت بناسوت المسيح الذي هو مخلوق.

وبين قول النصارى وقول الجهمية ومن ضاهاهم علاقة تلازمية، وليس شيء من ذلك حصل اتفاقاً، مردّها إلى أصول الفلاسفة القائلين بأنّ وحدة واجب الوجود حقيقتها نفي قيام الصفات به، وهذه الوحدة معنى لكَي لا وجود لها إلاّ في الأذهان، وليس لها حقيقة موجودة في الأعيان، فليس في الوجود إلاّ الأشخاص المعيّنة التي لا تتميز في الخارج إلاّ بما يقوم بها من الصفات، وهذه الشبهة مشتركة بين جميع هذه الطوائف المعطلة للصفات عن الله تعالى، وهي مناط قولهم بالاتحاد العام كالفلاسفة والجهمية من سلك سبيلهم من غلاة الصوفية، أو الاتحاد الخاص كالنصارى الذين قالوا بالاتحاد والحلول حيث جعلوا المسيح لاهوتاً على وجه الحقيقة لاتحاده واختلاطه به، أو أنّ المسيح ليس لاهوتاً على وجه الحقيقة وإنّما هو مجرد محلّ ومظهر للاهوت، وعلى ذلك يكون المسيح هو نفسه اللاهوت بحسب الاتحاد، وهو محلّ اللاهوت بحسب الحلول، وكون المسيح هو مظهر للإله ومحله، هو نفسه لمن تأمل قول الجهمية ومن شاكلهم من المعتزلة وغيرهم من أنّ ما هو مكتوب في المصاحف، وما هو مقروء من الحروف هو عبارة وحكمة ومظهر ودليل لمعنى الكلام القديم، هذه حقيقة قولهم جميعاً، مبنى أصل كلامهم واحد، يتلقاه بعضهم من بعض، وإن كانوا مختلفين متناقضين، يرد بعضهم على بعض، ويكفر بعضهم بعضاً، لكنهم كما قال الله تعالى: {كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ} [البقرة: 118]، وَقَالَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: {يُضَاهَتُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} [التوبة: 30].

والنصارى وإن كانوا من مثبتة الصفات، بل من الغالين في ذلك، إلاّ أنّ لهم نصيباً من النفي والتعطيل كحال المتكلمين في هذه الأمة؛ فإنّهم اعتبروا الأفانيم التي هي الوجود والعلم والحياة مجرد خواص وصفات نفسية للجوهر، لا أنّها صفات زائدة على الذات، كما أنّهم قالوا: إنّ العلم هو الكلمة، وليس هو كلام الله، فجعلوا العلم والكلمة شيئاً واحداً، ثم قالوا: إنّ الكلام هو صفة فعل، أي خلقه الله في غيره، وهو قائم بغير الله، أي

المسيح، وهذه أقوال يتشابهون فيها مع نفاة الصفات من طوائف المتكلمين، والمتفلسفة؛ إذ حرفوا اسم الكلام ومعناه. (ابن تيمية ، 1999، صفحة 363) (ابن العبري ، صفحة 97)

والنصارى ثلاثة مذاهب رئيسة لكلّ مذهب منها سبيله في تصوير حقيقة الاتحاد والحلول:

فأما اليعقوبية وهم فرق كثيرة فيقولون: إن المسيح عليه السلام طبيعة واحدة من طبيعتين: إحداها طبيعة اللاهوت، والأخرى طبيعة الناسوت، وهاتان الطبيعتان تركبتا كما تركبت النفس مع البدن، واتحدتا فصارتا إنسانا واحدا، وجوهرا واحدا وإلهًا واحدا. وإنّ هذه الطبيعة الواحدة، والشخص الواحد هو المسيح، وهو إله كلّ، وإنسان كلّ، وهو شخص واحد، وطبيعة واحدة من طبيعتين.

ويقول بعضهم: إنّ هذا الاتحاد بمعنى الممازجة، فصار منها شيء ثالث، كما تمتزج النار بالفحمة، فتتكوّن منهما جمرة، حيث إنّ الجمرة ليست نارا خالصة، ولا فحمة خالصة.

ويقولون أيضا: إنّ مريم ولدت الله عزّ وجلّ.

وأما النسطورية فإنّ ظاهر قولهم: إنّ الاتحاد على جهة كون الكلمة جعلته محلا ادرعته ادراعا، وإنّ المسيح جوهران وأقنومان.

وقالوا: إنّ الاتحاد وقع به كما اتحد نقض الفص بالشمع، وصورة الوه بالمرآة، من غير أن يكون قد انتقل النقض من الفص إلى الشمع، أو الوجه إلى المرآة.

وقالوا: اتحاد الكلمة هي أن ظهرت، ودبرت على يديه بإظهار المعجزات عليه.

وقالوا: إنّ المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة، وأنّ طبيعة اللاهوت التي للمسيح غير طبيعة الناسوت، وأنّ طبيعة اللاهوت لما اتحدت بالناسوت وبالكلمة، صارت الطبيعتان بجهة واحدة، وإرادة واحدة، واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصانا، ولا يمتزج بشيء، والناسوت يقبل الزيادة والنقصان، فكان المسيح بذلك إلهًا وإنسانا، فهو إله بجوهر اللاهوت، وهو إنسان بجوهر الناسوت.

وقالوا: إنّ مريم ولدت المسيح بناسوته، وأنّ اللاهوت لم يفارقه قط منذ اتحد بالناسوت.

وأما الملكانية فيقولون: إن الابن الأزليّ الذي هو الكلمة تجسد من مريم تجسدا كاملا، كسائر أجساد الناس، وأنه صار "إنسانا" بالنفس والجسد اللذين هما من جوهر الناسوت، و"إلهًا" بجوهر اللاهوت.

وهو شخص واحد لم يزد عدده، وطبيعتان، ولكل واحد من الطبيعتين مشيئة كاملة، فله باللاهوتية مشيئة الأب والروح القدس، وله بالناسوتية مشيئة الإنسان.

وقالوا: إنّ مريم ولدت إلهاً، وأنّ المسيح هو اسم يجمع اللاهوت والناسوت، وله مشيئة اللاهوت والناسوت، وهو شخص واحد.

ومجمل قول النصارى أنّهم متفقون على اتحاد اللاهوت والناسوت، وأنّ الاتحاد كان بالكلمة، وهذا مضمون عقيدة إيمانهم في قولهم: نؤمن بإله واحد أب ضابط الكلّ خالق السموات والأرض، كلّ ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق.

كما أن النصارى متفقون على أن جسد المسيح لم يكن من اللاهوت، بل هو مخلوق.

وما يذكر عن طوائفهم من هذه الاختلافات يترد إلى اختلاف الناس في حكاية مذاهبهم في حقيقة القول بالاتحاد والحلول، هل هم مختلفون في القول بذلك حيث بعضهم يقول بالاتحاد، وبعضهم يقول بالحلول، أم أنّهم جميعاً يقولون بالاتحاد والحلول، كما اتسع الاختلاف عندهم في بيان حقيقة هذا الاتحاد والحلول وتحديد صورته.

وقد توهم بعض من حكى اختلاف النصارى أنّ الذين قالوا: إنّ اللاهوت اتحد بالناسوت حتى صاراً شيئاً واحداً، جوهر واحد وطبيعة واحدة، اختلطاً وامتزجاً كاختلاط الماء واللبن، والماء والخمر، وهذا القول هو حقيقة الاتحاد، وهؤلاء هم الذين عنى الله تعالى بقوله: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [المائدة: 17]، وأنّ الذين قالوا: إنّ اللاهوت اتحد بالناسوت فصاراً جوهر واحد له طبيعتان، وأنّ المسيح ليس هو بل ولده وذلك بمنزلة الشعاع المتولد عن الشمس، وقالوا: هؤلاء هم الذين عنى الله تعالى بقوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ} [التوبة: 30]. وأنّ الذين قالوا: أنّهما صاراً جوهرين وطبيعتين وأقنومين مع الرب، لكن حلّ اللاهوت في الناسوت حلول الماء في الطرف، وقالوا: هؤلاء الذين عنى الله تعالى بقوله: {وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً} [النساء: 171]، وقوله: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ} [المائدة: 73].

وهذا الذي قالوه متفرقين يوجد نظيره ولازمه في كل طائفة من هذه الفرق، وما حكاه هؤلاء عنهم لا اعتبار به، بل الفرق الثلاث تقول المقالات التي أخبر الله تعالى بها عن النصارى، فكلهم يقولون: بالوهية المسيح، وبنوته، وأن الله ثالث ثلاثة.

وحاصل ما ذكر في القرآن الكريم يدل على أنّ التثليث الذي أخبر الله به عنهم هو اتخاذ المسيح عيسى بن مريم وأمه إلهين، كما قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116)} [المائدة: 116-117]، وهذا مستلزم لمعنى من قال بالحلل في مريم، والاتحاد في المسيح، وهو أكثر تعبيراً لمقتضى مذاهب النصارى.

وقد قيل إنّ المقصود بالتثليث الوارد في القرآن هو الأقانيم الثلاثة التي هي عبارة عن الأب والابن والروح القدس. وبمجموع ما ذكر يكون القرآن الكريم قد ردّ في كل آية بعض أقوالهم، أو على بعض أصنافهم. وعلى ذكر ما سبق يكون كل ما ورد عنهم في القرآن الكريم يشمل جميع فرقهم، وجميع مذاهبهم من القول بالتثليث، وبالاتحاد والحلل، فليس كل آية تخص صنفاً من فرقهم، أو مذهباً من مذاهبهم، كما ظنّ من ظنّ من أهل التفسير، بل ذكر الله تعالى في كل آية كفرهم المشترك، وجمع لهم فيه ثلاثة نعوت كل واحد منها يدل على الآخر إما بطريق المطابقة أو التضمن أو الزوم. فقالوا: المسيح هو الله على سبيل الاتحاد، وقالوا: هو ابن الله على سبيل الحلل، وقالوا: إنّ الله ثالث ثلاثة، وذلك باتّخاذهم المسيح وأمه إلهين من دون الله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن هنا قالوا كلهم: المسيح هو الله، وقالوا كلهم: هو ابن الله، لأنه من حيث أن الأب والابن وروح القدس إله واحد [وجوهر واحد] وقد اتحد بالمسيح كان المسيح هو الله، ومن حيث أن الأب جوهر، والابن جوهر وروح القدس جوهر، والذي اتحد به هو جوهر الابن الذي هو الكلمة، كان المسيح هو ابن الله عندهم، ولا ريب أن هذين القولين وإن كان كل منهما متضمناً لكفرهم، كما ذكره الله، فإنهما متناقضان، إذ كونه هو، يناهض كونه ابنه، لكن النصارى يقولون هذا كلهم، ويقولون هذا كلهم، كما ذكر الله ذلك عنهم، ولهذا كان قولهم معلوم التناقض في بديهة العقول عند كل من تصوره، فإن هذه

الأقانيم إذا كانت صفات أو خواصًا، وقدر أن الموصوف له بكل صفة اسم، كما مثلوه بقولهم: زيد الطبيب، وزيد الحاسب، وزيد الكاتب، لكن لا يمكن أن بعض هذه الصفات يتحد بشيء دون الجوهر، ولا أن بعض هذه الصفات يفارق بعضًا، فلا يتصور مفارقة بعضها بعضًا، ولا مفارقة شيء منها للموصوف، حتى يقال: المتحد بالمسيح بعض هذه الصفات، وهم لا يقولون ذلك -أيضًا- بل هم متفقون على أنه المتحد به جوهر قائم بنفسه، فإن لم يكن جوهر إلا جوهر الأب، كان جوهر الأب هو المتحد، وإن كان جوهر الابن غيره، فهما جوهران منفصلان، وهم لا يقولون بذلك، والموصوف -أيضًا- لا يفارق صفاته، كما لا تفارقه، فلا يمكن أن يقال: اتحد الجوهر بالمسيح بأقنوم العلم دون الحياة، إذ العلم والحياة لا زمان للذات، لا يتصور أن تفارقهما الذات ولا يفارقهما واحد منهما.

ومن هنا قيل: النصارى غلطوا في أول مسألة من الحساب الذي يعلمه كل أحد، وهو قولهم: الواحد ثلاثة، وأما قول بعضهم: أحديّ الذات ثلاثي الصفات، فهم لا يكتفون بذلك كما تقدم، بل يقولون: الثلاثة جواهر والمتحد بالمسيح واحد منها دون الآخر، وبهذا يتبين أن كل من أراد أن يذكر قولهم على وجه يعقل فقد قال الباطل، كقول المتكاسين منهم: هذا كما تقول: زيد الطبيب، وزيد الحاسب، وزيد الكاتب، فهم ثلاثة رجال باعتبار الصفات، وهم رجل واحد باعتبار الذات فإنه يقال: من يقول هذا لا يقول: بأن زيدًا الطبيب فعل كذا، أو اتحد بكذا، أو حل به دون زيد الحاسب والكاتب، بل أي شيء فعله أو وصف به زيدًا الطبيب في هذا المثال هو الموصوف به زيد الكاتب الحاسب.

والنصارى يثبتون هذا المثلث في الأقانيم مع قولهم: إن المتحد هو الواحد، فيجعلون المسيح هو الله، لأنهم يقولون: الموصوف اتحد به، ويجعلونه هو ابن الله، لأنهم يقولون: إنما اتحد به الجوهر الذي هو الكلمة، أو إنما اتحد به الكلمة دون الأب الذي هو الوجود، ودون روح القدس، وهما -أيضًا- جوهران، فقد تبين أن قول النصارى بهذا وبهذا جمع بين النقيضين، وهو من أفسد شيء في بدائه العقول، وكل منها كفر كما كفرهم الله، وأما قولهم: ثالث ثلاثة، فإنهم ذلك يعبدون الأم التي هي والدة الإله عندهم، وهذا كفر آخر مستقل

بنفسه غير تثليث الأقانيم والاتحاد بالمسيح، فالقرآن يتناول جميع أصناف كفرهم في هذا الباب تناولاً تاماً" (ابن تيمية ، 1999، الصفحات 848-865) (ابن تيمية ، صفحة 11) .

وقد تتابع تصريح العلماء بعظم تناقض النصارى واضطراب أقوالهم بل امتناع وجودها في الخارج، وهذه بعض أقوالهم:

قال ابن حزم: "وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ قَوْلُهُمْ فِي كِتَابِهِ إِذْ يَقُولُ تَعَالَى {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} وَإِذْ يَقُولُ تَعَالَى حَاكِياً عَنْهُمْ {أَنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ} وَإِذْ يَقُولُ تَعَالَى {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْتِنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} لَمَا انْطَلَقَ لِسَانُ مُؤْمِنٍ بِحَاكِيَةِ هَذَا الْقَوْلِ الْعَظِيمِ الشَّنِيعِ السَّمْعِ السَّخِيفِ وَتَاللَّهِ لَوْلَا أَنَا شَاهِدُنَا النَّصَارَى مَا صَدَقْنَا أَنَّ فِي الْعَالَمِ عَقْلاً يَسْعَى هَذَا الْجُنُونُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ... ثُمَّ يُقَالُ لِلْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْبَارِيَّ تَعَالَى ثَلَاثَةً أَشْيَاءَ أَبَ وَابْنٍ وَرُوحَ الْقُدُسِ أَخْبَرُونَا إِذْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ لَمْ تَزَلْ كُلُّهَا وَأَهَّاءَ مَعَ ذَاتِ شَيْءٍ وَاحِدٍ إِنْ كَانَ ذَلِكَ كَمَا ذَكَرْتُمْ فَبِأَيِّ مَعْنَى اسْتَحَقَّ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهَا يُسَمَّى أَبَا وَالثَّانِي أَبَا وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ أَنَّ الثَّلَاثَةَ وَاحِدٌ وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا هُوَ الْآخَرُ فَالْأَبَ هُوَ الْإِبْنُ وَالْإِبْنُ هُوَ الْأَبُ وَهَذَا هُوَ عَيْنُ التَّخْلِيصِ وَانْجِلِيهِمْ يَبْطُلُ هَذَا بِقَوْلِهِمْ فِيهِ سَاقِعٌ عَنْ يَمِينِ أَبِي وَقَوْلِهِمْ فِيهِ أَنَّ الْقِيَامَةَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الْأَبُ وَحْدَهُ وَأَنَّ الْإِبْنَ لَا يَعْلَمُهَا فَهَذَا يُوجِبُ أَنَّ الْإِبْنَ لَيْسَ هُوَ الْأَبُ وَإِنْ كَانَتْ الثَّلَاثَةُ مُتَغَابِرَةً وَهُمْ لَا يَقُولُونَ بِهَذَا فَيُلْزِمُهُمْ أَنْ يَكُونَ فِي الْإِبْنِ مَعْنَى مِنَ الضَّعْفِ أَوْ مِنَ الْخُذُوثِ أَوْ مِنَ النِّقْصِ بِهِ وَجِبَ أَنْ يَنْحَطَّ عَنْ دَرَجَةِ الْأَبِ وَالنِّقْصُ لَيْسَ مِنْ صِفَةِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ". (ابن حزم ، صفحة 48)

وقال الرازي: "وَرَعَمُوا أَنَّ الْأَبَ إِلَهٌ، وَالْإِبْنَ إِلَهٌ، وَالرُّوحَ إِلَهٌ، وَالْكُلَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ. وَاعْلَمُ أَنَّ هَذَا مَعْلُومُ الْبُطْلَانِ بِبَدِيهِهِ الْعَقْلِ، فَإِنَّ الثَّلَاثَةَ لَا تَكُونُ وَاحِدًا، وَالْوَاحِدَ، لَا يَكُونُ ثَلَاثَةً، وَلَا يُرَى فِي الدُّنْيَا مَقَالَةً أَشَدَّ فَسَادًا وَأَظْهَرُ بُطْلَانًا مِنْ مَقَالَةِ النَّصَارَى". (الرازي، 1420، صفحة 409)

وقال ابن تيمية: "وأما قولهم: وعلى هذا المثال نقول: في السيد المسيح طبيعتان: طبيعة لاهوتية التي هي طبيعة كلمة الله وروحه، وطبيعة ناسوتية: التي أخذت من مريم العذراء، واتحدت به. فيقال لهم: كلام النصارى في هذا الباب مضطرب مختلف متناقض، وليس لهم في ذلك قول اتفقوا عليه، ولا قول معلقول، ولا قول دَلَّ عليه كتاب، بل هم فيه فرق وطوائف كل فرقة تكفر الأخرى، كالبعقوبية والملكانية والنسطورية، ونقل الأقوال

عنهم في ذلك مضطربة، كثيرة التناقض. ولهذا يقال: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا على أحد عشر قولاً، وذلك أنّ ما هم عليه من اعتقادهم من التثليث والاتحاد، كما هو مذكور في أمانتهم، لم ينطق به شيء من كتب الأنبياء، ولا يوجد لا في كلام المسيح ولا الحواريين ولا أحد من الأنبياء، ولكنّ عندهم من الكتب ألفاظاً متشابهة وألفاظاً محكمة يتنازعون في فهمها، ثم القائلون منهم بالأمانة وهم عامة النصارى اليوم من الملكانية والنسطورية واليعقوبية مختلفون في تفسيرها، ونفس قولهم متناقض يمتنع تصوره على الوجه الصحيح.

(ابن تيمية ، صفحة 77)

وقال الحافظ العلائي: "ومن وجه آخر يخص النصارى في قولهم: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}، لأنهم إما أن يقولوا بالحللول أو بالاتحاد؛ والحللول باطل؛ لأنه لا يعقل إلا إذا كان الحال مفتقراً إلى المحل؛ فإن كان حلوله سبحانه في المسيح على وجه الجواز لم يكن الحال مفتقراً إلى المحل فيستحيل الحللول، وإن كان على وجه الوجوب لزم افتقار الواجب إلى غيره ضرورة افتقار الحال إلى المحل ولزم من ذلك حدوث الرب سبحانه وتعالى أو قدم المحل، وكل من ذلك مستحيل، فالحللول باطل والاتحاد أيضاً باطل؛ لأن المتحدّين إما أن يبقيا عند الاتحاد أو ينعدما ويحصل ثالث أو يبقى أحدهما دون الآخر وعلى القسمين الأولين تنتفي صورة الاتحاد، وكذلك أيضاً في القسم الثالث لاستحالة كون المعدوم عين الموجود. (العلائي، 2008، صفحة 157)

وقال ابن أبي العزّ: "وَأَمَّا النَّصَارَى الْقَائِلُونَ بِالتَّثْلِيثِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يُثْبِتُوا لِلْعَالَمِ ثَلَاثَةَ أَرْبَابٍ يَنْفَصِلُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، بَلْ مُتَّفَقُونَ عَلَى أَنَّ صَانِعَ الْعَالَمِ وَاحِدٌ، وَيَقُولُونَ: بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَرُوحِ الْقُدُسِ إِلَهٌ وَاحِدٌ.

وَقَوْلُهُمْ فِي التَّثْلِيثِ مُتَنَاقِضٌ فِي نَفْسِهِ، وَقَوْلُهُمْ فِي الْحُلُولِ أَفْسَدُ مِنْهُ، وَلِهَذَا كَانُوا مُضْطَرِّينَ فِي فَهْمِهِ، وَفِي التَّعْبِيرِ عَنْهُ، لَا يَكَادُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَعْبِرُ عَنْهُ بِمَعْنَى مَعْقُولٍ، وَلَا يَكَادُ اثْنَانِ يَتَّفِقَانِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: هُوَ وَاحِدٌ بِالذَّاتِ، ثَلَاثَةٌ بِالْأَقْنُومِ! وَالْأَقْنُومُ يُفَسِّرُوهَا تَارَةً بِالْخَوَاصِّ، وَتَارَةً بِالصِّفَاتِ، وَتَارَةً بِالْأَشْخَاصِ". (ابن أبي العز الحنفي، 1418، صفحة 27)

وقال رشيد رضا: "ثم إذا وزعنا اعتقادات من وصفهم الله بالشرك في كتابه العزيز على هذه الأنواع الثلاثة نجد مظنة (الإشراك في الذات) قائمة في اعتقاد الحللول وهو أنه تعالى شأنه عما يصفون أفنى أو يفني بعض

الأشخاص في ذاته كقول النصارى في عيسى ومريم عليهما السلام، وقول غلاتنا في وحدة الوجود. وهذا النوع من الشرك عسر التصور والتعريف حتى عند أساطين أهله ولذلك يسميه النصارى حقيقة سرية ويسميه غلاتنا حقيقة ذوقية". (مجموعة من المؤلفين ، صفحة 223)

واستكمالاً لما سبق مما ذكر من احتمالات أقوالهم في الاتحاد والحلول، فإنَّ مِنَ النصارى مَنْ يزعم بأن المسيح ليساً إلهاً بل أعطاه الله قدرة على الخلق والإيجاد أعطاه الله قدرة على الخلق والإيجاد، (الجورجاني، 1997، صفحة 34) فهذا وإن كان خارجاً عن حدود موضوع البحث، - إذ موضوع هذا البحث في أقنوم الكلمة وتجسدها بالمسيح - ومع ذلك فإن إطلاق هذا القول باطل من أوجه متعددة، أهمها أنَّ الخلق والإيجاد من خصائص الربوبية، وليس مما ذهبوا إليه شيء مما حصل من المسيح عليه السلام من إحياء الموتى كما أخبر الله تعالى، فإن الله عزَّ وجلَّ هو من أقدره على ذلك، وما ذهبوا إليه من إطلاق قدرته على الخلق والإيجاد فهو شرك في ربوبية الله تعالى وهو ممنوع ضرورة في الشرع والعقل، كما أنَّه ليس لديهم مستند نقلي ولا عقلي يستندون إليه في هذه الدعوى، بل لا يوجد في كتبهم ما يدل على ذلك، وهم أنفسهم ينكرونه في حقيقة معتقدهم، ويظهرون من ذلك خلاف ما يبتغون.

وقد أبطل الله تعالى دعوى النصارى من كون المسيح خالقاً، وقد زعموا أنَّ به كان كلَّ شيء كما في قانون الإيمان عندهم (الجورجاني، 1997، صفحة 26) ، فجعلوه خالقاً مع الله، وقد بيَّن الله تعالى فساد قولهم فقال: { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ } [المؤمنون: 91]، وقال سبحانه: { وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ } (100) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أُنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101) ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ } [الأنعام: 100-102] وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَزُرُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ } [فاطر: 3]، وقال تعالى: { أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخُلُقُ عَلَيْهِمْ } [الرعد: 16]. فنفى الله تعالى الخلق والإبداع عن غيره وأثبتته لنفسه، وأكذب من ادعى أنَّه يخلقه كخلقه، فوصف نفسه بالخلق المطلق والخلق

العام، وبأنه رب العالمين، ويده ملكوت كل شيء، وأما المسيح فقد ذكره الله تعالى بخلق معين خاص، وأنه لا يكون إلا بتقدير الله وإذنه، كما في قوله تعالى: {وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي} [المائدة: 110]، وقال المسيح عن نفسه كما قوله تعالى: {أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ} [آل عمران: 49]، فمن أدعى أن أحدا من العباد كائنا من كان يوصف بابتداء الخلق وإنشائه فقد كذب على الله وأكذب الله في خبره، ولو كان كذلك لكان يطلق على المسيح اسم الخالق كما يطلق على الله عز وجل، وليس للنصارى أثارة من علم بذلك، ولا يوجد نص واحد صريح في كتبهم يدل على ذلك، وفي اختصاص ذلك بالله دليل على أنه لا يوصف غيره بشيء من ذلك. والنصارى لمن تأمل مذهبهم لا يخرجون في تعليل عقيدتهم في التثليث عن آراء وأقوال الفلاسفة، كما أشار إلى ذلك الرازي عند قوله: "ومنهم من يقول إنه جوهر مجرد عن الجسمية والحلول في الأجسام" في بداية النص الذي نقلته عنه في الصفحة السابقة، والذي يتضمن قولهم بالناسوت الكلبي المجرد عن الجسمية، على مذهب من يرى بأن وجود الشيء الكلبي زائد عن ماهيته، وهذه الحقيقة الكلبيّة كما يزعم الفلاسفة لها وجود عيني في الخارج، وهذا قول من لا يفرق بين الحقائق الذهنية، والحقائق الشخصية العينية الموجودة في الخارج، كما في المثل الأفلاطونية، والمركبات الكلبيّة للتنوع المكونة من الجنس والفصل عند أرسطو وأمثاله. وقد خاض في مثل هذه التعليقات كثير من النصارى في شرح عقيدة التثليث. (بوليس سباط ، 1929) (ابن تيمية ، صفحة 282) (المعلمي، صفحة 648) (ويل ديورانت، أرثيل ديورانت، الصفحات 78-59-93-32)

3. إجمال شبهات النصارى والردّ عليها.

تعلق النصارى في قولهم بالاتحاد والحلول بشبهات بنوا عليها استدلالهم، وألفاظ مجملة يعسر عليهم استخراج مرادهم من المعاني التي فسروا بها تلك الألفاظ، بل يمتنع تحققها عند تصورهما على وجهها.

ومن جملة تلك الشبهات ما ورد في أناجيلهم من تسمية المسيح ابنا، وأنه كلمة الله، وما جاء من إطلاق اسم الإله على المسيح، وقوله: "أنا والآب واحد"، وقوله: "من رأي فقد رأى الآب"، وقوله: "أنا في الآب والآب في"، وقوله: "الكلام الذي أكلمكم به لست أتكمم به من نفسي لكن الآب الحال في هو يعمل الأعمال"، ونحو ذلك، كاستعمال لفظ الجمع على المسيح أو على الله، فتوهموا بأن هذه النصوص تشهد لما ادعوه من التثليث ومن الاتحاد والحلول.

يقول الأمدي: "وجملة هذه الأقاويل، وحاصل هذه الأباطيل، مع أنها مخالفة للأصول، ومرغمة للعقول، فمما لا مستند لها، ولا معول لهم فيها؛ غير التقليد عن أسلافهم، والأخذ بظواهر ألفاظ لا يحيطون بمفهومها. وأشبه ما احتج به من قال إن المسيح عليه إله، أنه قال: قد ثبت أن المسيح عليه السلام أبرأ الأكمه والأبرص، وأحيى الموتى، وفعل أفعالا وقع الاتفاق من العقلاء على أنها لا يمكن صدورها عن البشر المخلوقين، وأنه لا صدور لها عن غير الله تعالى، فكان إلهها.

وربما احتجوا على ذلك نقلا، بما روي في الإنجيل أن مريم تلد إلهها.

وربما احتج علينا من قال بأن المسيح كلمة الله بما نطق به كتابنا من قوله تعالى: {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} [النساء: 171]، وبقوله تعالى: {فنفخنا فيه من روحنا} [التحريم: 12].

واحتجوا قاطبة على جواز إطلاق اسم الأب على الله تعالى، والابن على المسيح بما رواه في الإنجيل: (إنك أنت الابن الوحيد)، ويقول المسيح: (من رأي فقد رأى أبي، فلإني وإياه واحد)، ويقول شمعون الصفا: (إنك ابن الله حقا)". (امدي، 2007، صفحة 60) (يوحنا، الصفحات 1-14) (متى، الصفحات 54-33) هذا مجمل ما احتجوا به على دعواهم ألوهية المسيح، وعلى الاتحاد والحلول، وسوف أردّ على تلك المزاعم بإجمال، على قدر ما يسعه طبيعة البحث، وذلك من أوجه.

الوجه الأول: الاعتراض على دعوى الاتحاد والحلول بدليل المنع.

وفي المقام يكفيننا المنع في الطعن فيما ادعوه من اتحاد اللاهوت في الناسوت، أو حلوله فيه؛ لأن هذه الدعوى ليست بديهية ولا معلومة بالضرورة، ولم يقيموا عليها دليلا صحيحا صريحا يثبتها، إلاّ قولاً تمالوا عليه

في مجتمعاتهم، بقتل واضطهاد من عارضهم عليه، وما أوردوه من الشبهات فهي مجرد ألفاظ مجملة سيأتي الرد عليها في الوجه الثاني.

وهذا من الأصول التي أقام الله تعالى عليهم بها الحجة، وأبطل دعواهم من التثليث والاتحاد والحلول، كما في قوله عز وجل: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا - قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا - مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا - وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا - مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِابَائِهِمْ كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا } [الكهف: 1 - 5]، وقوله: { قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْعَزِيزُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } [يونس: 68-69].

وهي حجة يكثر الاستدلال بها في القرآن الكريم، وإبطال دعوى المبطلين، ومن ذلك قول الله تعالى: { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } [الإسراء: 36]، وقال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف: 33]، وقال تعالى: { وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } [يونس: 36]، وقال تعالى: { وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا. فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى } [النجم: 28-30].

ويستدل بدليل المنع من وجه آخر في هذا المقام، وهو أن ما جاءوا به من الحدود لتعريف الاتحاد أو الحلول، ليس مبينا بنفسه، ولا هو مستغن عن حد آخر يتوقف تعريفه عليه، بل هو مفتقر إلى ما يوضح معناه، وما استلزم المنع من إثبات وجود حقيقة خارجية، وماهية نعقل منها معنى لهذا اللفظ مطابق لما قصده من الاتحاد والحلول فضلا عن معنى صحيح كان ذلك باطلا، ومن هذا الوجه تفرد الرد بالوجه التالي.

الوجه الثاني: بطلان ما استدلو به من النصوص السابقة الذكر.

وما احتجوا به من النصوص التي ذكروها من كتبهم لا تقوم بها حجة بحال، وذلك لثلاثة أمور:

أولاً: أن ما نقلوه في كتبهم لا تتم الحجة به إلا إذا أثبوا إسنادهم ومثنته، بحيث يعلم بأنه منقول عنهم نقلاً صحيحاً.

ثانياً: عليهم إثبات أن الترجمة التي نقلت بها معاني تلك الكتب من العبرانية إلى اللغات الأخرى، هي ترجمة صحيحة.

ثالثاً: وهذا بيت القصيد وهو أن المعنى الذي فسروا به ألفاظ تلك النصوص هو المعنى الذي أرادته المخاطب بتلك الألفاظ.

ونحن في هذا المقام مكفيناً المنع، والمطالبة لهم بتصحيح هذا المقدمات، ولا سبيل لهم إلى شيء من ذلك. (ابن تيمية ، صفحة 239)

ومع ذلك فإن ما فسروا به تلك النصوص التي استدلو بها ليس كما توهموا، فالألفاظ التي ذكروها هي ألفاظ مجملة تحتل معاني متعددة، وما ورد عليه الاحتمال من الألفاظ يبطل به الاستدلال، على أنه ورد في كتبهم من نفس ذلك السياق ما جرى على غير المسيح كلفظ الابن على داود عليه السلام وعلى الحواريين وغير ذلك، ولفظ الإله على موسى عليه السلام، ولفظ الجمع استعماله لا يكاد يحصى في كتبهم على غير المسيح، ومثال ذلك أن قوله: "أنا والآب واحد" فهم من اليهود أنه ادعى لنفسه الألوهية كما في إنجيل يوحنا، فأخبرهم بأن هذه العبارة لا تقتضي ألوهيته، وألزمهم بأن (آساف) قديماً أطلق على القضاة أنهم آلهة، ولم يلزم من ذلك أنهم آرباب، ومعنى أحما واحد، كقوله: "من رأي فقد رأى الله" ويقينا ذلك لا يعني رؤية الله حقيقة، وإنما المقصود أن من سمع وأطاع المسيح واتبع هدايته، فهو بذلك مطيع لله تعالى، ولو لا طبيعة البحث وضرورة الاختصار لأوردت تفاصيل تلك النصوص وسأحيل على بعض المراجع التي عنت بتفنيد تلك الشبهات. (امدي، 2007، صفحة 60) (ابن تيمية ، صفحة 107) فالنصارى ليس لديهم حجة صريحة من كتبهم تدل على التثليث وعلى أقوالهم المضطربة المتناقضة، بأي وجه من الوجوه وإنما هي ألفاظ مجملة متشابهة تمسكوا بها، مناقضة للألفاظ الصريحة البينة الواردة فيها.

وما كان ضلال النصارى إلا باتباع كلمات قليلة متشابهة وخفية ومشكلة من كتبهم المتقدمة، والإعراض عن نصوص كثيرة محكمة واضحة مبينة منه، وقد أخبر الله تعالى عنهم في القرآن الكريم بأن في قلوبهم زيغا، يتبعون المتشابه من الكتاب، كما في قوله: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 7]، وبداية سورة آل عمران نزلت في نصارى نجران الذين ناظرهم النبي صلى الله عليه وسلم، فهم المعني بالقصد الأول من هذه الآيات المحذرة من اتباع المتشابه.

وقد حكم الله تعالى بكفر النصارى لقولهم على الله وعلى مريم قولاً إذاً عظيماً، وأخبر عن المسيح عليه السلام أن أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّاراً شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [مريم: 30-35]، فقال: إني عبد الله ولم يقل: إني أنا الله، أو ابن الله. وقال: برّاً بوالدي، ولم يقرن معها غيرها في الأبوة.

وكذلك قال لهم في حال كبره ونبوته، حيث أمرهم بعبادة الله ربّه وربهم وحده لا شريك له، كما في قول الله تعالى: {وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: 72]. فمن عبد مع الله غيره، واخذه ربا من دون الله، فقد أوجب الله له النار، وحرّم عليه الجنة، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً} [النساء: 48].

وبسبب هذا الذي ضل به النصارى من الأخذ بالمتشابه من الأقوال، وتفسيرها بالمعاني الباطلة المتناقضة، حيث جعلوا ما هو صفات لله تعالى التي لا يجوز أن تقوم إلا بالموصوف، جعلوها جواهر قائمة بنفسها،

وسمّوها أقانيم، بسبب ذلك توهم من توهم من المعتزلة أنّهم لو أثبتوا الصفات، لقالوا بقول النصارى؛ لأنّ النصارى أثبتوا لله أقانيم التي لا يجعلونها كالصفة من كلّ وجه، وهي الوجود، والكلمة - التي هي عبارة عن العلم -، والحياة اعتبروها جواهر وإن كانوا لا يثبتونها قائمة بنفسها، غير أنّ هذا هو حقيقة قولهم، ثمّ قالوا بعد ذلك هذه الأقانيم الثلاثة جوهر واحد، فمن جهة هو ثلاثة جواهر، ثم من جهة أخرى جعلوا الجواهر المتعددة جوهرًا واحدًا، وهذا غاية التناقض والاضطراب.

وقول المعتزلة إنّما هو وارد على من اعتبر الصفات جواهر لها وجود في الخارج، مجزأة كأجزاء الأجسام المركبة، كما هو قول النصارى وأمثالهم من الفلاسفة ونحوهم، الذين يذهبون إلى أنّ الوجود هو أمر زائد على الماهية في الخارج، ومن تصوّر هذه الأقوال حقّ تصوّر تيقن ضرورة فسادها وامتناعها.

والصفات لا تقوم بنفسها، إنّما هي قائمة بالموصوف، ولا هي جواهر، وقيام الصفة بالموصوف لا يسمى تركيبًا، بل هو أمر اصطلاحي اصطلاحاً عليه، وهو أمر متعلق بالأذهان لا وجود له في الأعيان، ثم بنوا على ما وضعوه من تلك المصطلحات أحكاماً أفضت بهم إما إلى تعطيل ذات الله تعالى عن الصفات، كما هو قول الجهمية والمعتزلة ومن تأثر بهم من سائر المتكلمين، وأخذوا ذلك عن الفلاسفة، وأمّا النصارى فقد أفضى بهم القول بأنّ الصفات جواهر حتّى جعلوها آهة، وأنّ الله ثلاثة أقانيم، تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً. وهؤلاء أيضاً كان منشأ قولهم من بعض الوجوه مذاهب الفلاسفة (بوليس سباط ، 1929) (الباقلائي ، صفحة 81) (ابن تيمية ، الصفحات 481-479) ، فقد أثبتوا لله صفات هي أصول وخواص متعلقة بالربّ سموها أقانيم أثبتوها صفات ذاتية جوهرية مقومة، وجعلوا قائمة بنفسها على حدّ قول الفلاسفة في ذلك، وقالوا: إنّ الله موجود حيّ عالم، ولا يكون حيّاً عالماً حتّى يكون ذا حياة وعلم، ثم قالوا: حياته جوهر قائم بنفسه، وعلمه وهو الكلمة جوهر قائم بنفسه، فوجب على قولهم أن يكون ثلاثة أقانيم حيث إنّها مختصة بالصفات الذاتية دون غيرها، كما سيأتي فصيله عند الكلام على تخصيص الأقانيم بثلاث لا أكثر.

وهذا ناتج عن التوهم بأن الأشياء مركبة من وجود وماهية، أو أنّ الأجسام مركبة من مادة وصورة، أو أنّ الأنواع مركبة من أجناس وفصول، وتوهموا بأنّ أجزاء هذه المركبات موجودة هكذا أجزاء في الخارج وفي

الأعيان، وهي أقوال باطلة، وليس في الخارج إلا ذات متصفة بصفات، فليس في الخارج وجود القائم بنفسه، ثم ماهيته منفصلة عنه، فليس هناك ماهية أخرى غير هذا الشيء الموجود القائم بنفسه، كما أنه ليس هناك موجودٌ يسمى نوعاً مركباً من جنس منفكٍ عن الفصل، كالإنسان مثلاً وقولهم هو: حيوان ناطق، وأنّ جزء الحيوانية منفصل منك عن جزء الناطقية، وأنّ كليهما قائم بنفسه، وهذا كلام لا يقوله عاقل يتصوّر ما يقول، بل هذا التركيب هو تركيب ذهني لا تركيب خارجي، تركيب يتصوّر في العقول، لا حقيقة له في الأعيان، أمّا الإنسان الموجود فهو ذات متصفة بصفات، هو وغيره من الموجودات، فالصفات ليس لها وجود قائم بنفسه في الخارج بل هي قائمة بالموصوف بها، فليس لهذا ماهية غير الشيء الموجود القائم بنفسه المتصف بها. (ويل ديورانت، أرثيل ديورانت، الصفحات 429-276-274) (الباقلاي، صفحة 86) (الجويني، 2017، صفحة 429) (ابن تيمية، الصفحات 165-164)

الوجه الثالث: امتناع تصور التثليث مع الاتحاد والحلول على وجه صحيح.

سبق في المبحث الأول تعريف الحلول والاتحاد، وتبين أن المعنى الذي اصطلاحوا عليه من الحلول والاتحاد، متناقض لا حقيقة له، والأصل الذي بنوا عليه ذلك باطلاً إذ إنهم خلطوا بين ما يمكن تصوره في الأذهان، وبين ما هو موجود في الأعيان، وما اصطلاحوا عليه من التأليف والتركيب بين المتحدّين أو الحال والمحل كما توهموا إنما يوجد في الأذهان لا في الخارج؛ لأنه لا وجود حقيقي للمفردات التي تتركب منها تلك المركبات إلا في أذهانهم فهم يقدرون مفردات بسيطة على معاني كلية مطلقة، ثم يفترضون اتحاداً أو حلولاً بعد ذلك لذات معينة، وذلك جارٍ على حسب اصطلاحاتهم الوضعية، واعتباراتهم العقلية. ولهذا وقعوا بذلك في غاية الاضطرابات والتناقضات.

وسأذكر بعض أول هذه التناقضات والاضطرابات في قولهم بالاتحاد والحلول من أوجه:

أولاً: أنّه مع الاتحاد والحلول يكون اللاهوت والناسوت شيئاً واحداً، يمتنع أن يكون لأحدهما فعل أو صفة خارجة عن الآخر، وفي هذا ما فيه من النقيصة بالله رب العالمين، فيرد عليهم كل ما فعله المسيح أو جرى

عليه في حياته أو عند الصلب كما يزعمون، أو بموته كما يزعمون حيث يلزم منه موت الإله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ثانيا: هم يقولون بالاتحاد والحلول، وأنه إله واحد، ثم يتناقضون فمنهم من يقول هو جوهر واحد، ومنهم من يقول جوهران، ومنهم من يقول مشيئة واحدة، ومنهم من يقول مشيئتان.

ثالثا: طبيعة الاتحاد أن يكون ما حصل من اللاهوت والناسوت شيء ثالث، فلا هو لاهوت ولا هو ناسوت، فيكون بذلك قد استحال اللاهوت وتغير إلى شيء آخر، فلم يبق هناك لاهوت، أما أن يكون هناك اتحاد بغير ذلك فممتنع وغير معقول.

رابعا: أن مجرد الاطلاع على ما في أناجيلهم يعطي تصورا بينا على أن المسيح عبد مربوب وليس بإله ولا متحد بالإله ولا الإله حالّ فيه، فقد تتابع فيما ما يدل على مباينة المسيح للرب، على عبادة المسيح للرب، ودعاء المسيح وتضرعه بين يدي الرب، وطلب المغفرة له ولقومه، والتنصيب على أنه عبد الله، ورفع إلى السماء، وإرساله إلى قوم، حيث لا يمكن أن يكون هو المرسل والمرسل في الوقت نفسه، وغير ذلك من الدلائل التي لا يبقى بعدها ريب في كون المسيح عبدا وليس بإله ولا متحد بالإله.

خامسا: أن الله تعالى أعظم وأكبر من أن يسعه جسد المسيح فيحل فيه أو يتحد به، فأى نقيصة ومذمة أشد من هذه لرب العالمين.

سادسا: يلزم من القول بالاتحاد والحلول انتقال صفة الكمة من الله رب العالمين، ويلزم من ذلك أن يخلو الله تعالى من صفة الكلمة التي هي العلم عندهم، ويتجرد من الاتصاف بها، فيوصف بنقيضها. ومعلوم عقلا أن الكلمة التي هي الصفة لا يمكن مفارقتها للموصوف، فلا تتحد وتحل دون الموصوف، وهم يتناقضون في ذلك حيث لا يقولون في ظاهر مزاعمهم أن المتحد أو الحالّ هو الآب.

سابعا: إذا لم يقولوا بانتقال الصفة، يلزمهم أن يقولوا بتجزئتها، ويلزم أن يكون من الآب شيء اتحد، وشيء لم يتحد، ويناقض ما قالوه من أن الآب لا يتبعض، ويصدق عليهم في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ [الزخرف: 15].

فهذه بعض التناقضات، والأقوال الفاسدة، التي لا يمكن تصور لها حقيقة صحيحة في الموجودات، وقد وصف النصارى بالجهل والضلال حقاً؛ لأنهم لا يتصورون ما يقولون، ولا يمكن أن يكون لما قالوا مثال صحيح في المعقولات. (امدي، 2007، الصفحات 60-74) (ابن تيمية، الصفحات 26-6) الوجه الخامس: المعارضة بنصوص الشرع.

وهذا الوجه هو أقوى حجة، وأعظم برهاناً على كفر النصارى بدعواهم التثليث وألوهية المسيح، واتحاد أو حلول اللاهوت في الناسوت، فلا شهادة أعظم من شهادة الله تعالى، ولا ينبغي أن يقال كيف نحتج عليهم بدليل لا يؤمنون به، ولا يصدقونه؛ لأن الواجب عليهم أن يؤمنوا به ويصدقوه، وما في القرآن الكريم ودلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، من البراهيم العقلية والخبرية ما لا يحصىه إلا الله رب العالمين، وقد بعث الله تعالى رسوله حجة على العالمين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، والبراهين والقواطع العلمية شاهدة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي أنزل إليه، {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} [الأنعام: 19].

وهذه بعض النصوص الدالة على إبطال أقوال النصارى ومذاهبهم، وعلى كفرهم بدعواهم بنوة المسيح وألوهيته، وأن الله ثالث ثلاثة.

قال الله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: 1 - 4].

قال الله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة: 17].

وقال سبحانه: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا

إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يُقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلَحُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ { [المائدة: 72 - 77].

وقال تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا. لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنَكَفُوا وَسَتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا { [النساء: 171 - 173].

وقال تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَهُ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ { [التوبة: 30 - 32].

وقال تعالى: { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا. لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا. تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا. وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا. إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا. لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا. وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا { [مريم: 88-95].

فنه الله تعالى نفسه عن أن يكون له مثل أو شريك، ونزه نفسه عن الولادة، وعن اتخاذ الولد.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

4. خاتمة:

وختاما فإني أحمد الله تعالى وهو للحمد أهل، وأثني عليه الخير كله، لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وأشكر ربي على مننه الكثيرة، ونعمة المتابعة، وآلائه العظيمة الذي يسر إتمام هذا البحث، وجاء بفضلته وكرمه علي فيه من العلم والمعارف. وسأذكر ما استخلصته من الفوائد والمزايا في ثنايا عرضه:

1- أن الاتحاد والحلول من الألفاظ المبهمة.

2- غموض وإجمال معنى الاتحاد والحلول ساعد النصارى في التستر على عقائدهم الباطلة

3- الاتحاد والحلول عند النصارى ليس له وجود حقيقي في عالم الأعيان.

4- طريق أهل الباطل مخفوف بالمغالطات اللفظية التي يخفون بها عقائدهم الفاسدة.

5- لا يوجد لدى النصارى أي دليل عقلي ولا دليل من كتبهم على ما ذهبوا إليه من التثليث والقول بالاتحاد والحلول.

6- لجوء النصارى في شرح وتبرير فاسد عقائدهم إلى النظريات الفلسفية التي تزيد تأكيد فساد عقائدهم وتناقضها.

7- تمسك النصارى بالمتشابهات والألفاظ المحملة ليلبسوا على الناس دينهم، ويمرروا باطلهم عليهم.

8- يكفي في إبطال دين النصارى من التثليث والاتحاد والحلول الكشف عن حقيقة مذهبهم.

9- الأدلة من نفس كتب النصارى كافية في إبطال عقائدهم الفاسدة.

10- لقد منّ الله تعالى على عباده أن أرسل محمدا صلى عليه وسلم بالحق بشيرا ونشيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فبين الحق للناس، وكشف الباطل وحذر منه، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

التوصيات:

كثير من الباحثين يتوهم أن البحوث المنجزة المتعلقة بالأديان عموما وبالنصرانية خصوصا مغنية عن المبادرة إلى كتابتها مرة أخرى، وهذا ضيق أفق في العلم والمعرفة، حيث ما من موضوع بحث سيما إذا كانت طبيعة موسعة فإن الباحث قلّ ما يعطي الموضوعات التفصيلية حقها من التحقيق والدراسة، وهذا مما شهدت عليه

ولمسته من خلال مطالعتي لتلك البحوث، خصوصا إذا نظرنا إلى إبراز تلك المسائل المغمورة في البحوث الموسعة والمدفونة في طياتها، فكم من المنفعة والفوائد التي نوصلها لعامة الناس فضلا عن الباحثين بإظهار تلك المسائل في عناوين مستقلة بارزة، فلذا أوصي إخواني الباحثين بأن لا ييخلوا على الناس بترسيخ تلك المسائل وتقريرها تحقيقا وتحريرا في بحوث مستقلة.

هذا. وصلى الله وسلم علي نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

5. قائمة المراجع

- آمدي ، 2007، أبعاد الأفكار في أصول الدين ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة.
- الهندي ، رحت الله محمد ، 1989 إظهار الحق ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، السعودية.
- حجازي ، أحمد ، 2006 ، أقانيم النصارى بيان ورد ، مكتبة النافذة، مصر.
- عماري، رأفت، 1992م، أقنوم الحق الفريد نظرة على عقيدة التثليث والتجسد، دار الجيل للطباعة. القاهرة.
- القرطبي الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، دار التراث العربي، القاهرة.
- ابن تيمية ، 1999، م التبعينية، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية.
- جرجاني ، 1983م، التعريفات ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- باقلاي ، التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ، دار الفكر العربي.
- ابن تيمية 1429، الرد على الشاذلي . دار عالم الفوائد . مكة.
- الجويني ، 2017م، الشامل في أصول الدين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- الجوهري 1987 م. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . دار العلم للملايين. بيروت.
- ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل. مكتبة الخانجي القاهرة.
- آبادي ، فيروز ، 2005م، قاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان.
- الكفوي ، أبي البقاء ، 1993م، الكليات ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
- فيومي، المصباح المنير، المكتبة العلمية ، بيروت.
- إيجي ، 1997م، المواقف لعصدا ، بيروت.

- المتطرب ، نصر بن يحيى، 1986م، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة.
- الهاشمي، أبي البقاء، 1998م، تحجيل من حرف التوراة والإنجيل، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية.
- طوني، 1440هـ، تعاليق على الأناجيل الأربعة ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
- أزهرى، 2001، تهذيب اللغة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
- نكري، أحمد، 2000، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- مطران، إيليا ، 1434، حدوث العالم ووحدانية الخالق وتثليث أقانيمه نصيبين النسطوري ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
- المتطرب، أبي الخير ابن الطيب، ردّ المسلمين وإدحاض ما يفتنون على النصارى من الاعتقاد بثلاثة آله ، من مجموع مباحث فلسفية.
- الحنفي، ابن أبي العز، 1418 هـ، شرح الطحاوية. وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- تفتازاني ، 1989م، شرح المقاصد ، دار عالم الكتب ، بيروت.
- قانون الإيمان المسيحي لأحمد طه. أمّتي للنشر الإلكتروني. عام: 2013م.
- ديورانت ، 1988 م، قصة الحضارة لويليام جيمس. دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- بولس، 1924، كتاب المشرع م سباط. مطبعة باريس.
- هنري بولاد، 2001م، كتاب منطق الثالث دار المشرق بيروت.
- التهانوي، 1996م، كشاف اصطلاحات الفنون. مكتبة لبنان ناشرون - بيروت.
- لأبنا بيشوى، 2004م، مائة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الأرثوذكسية. دار نوبار للطباعة.
- 1929م، مباحث فلسفية دينية لبعض القدماء من علماء النصرانية انتخبها القس بولس سباط. المطبعة السورة. القاهرة.
- مجموعة من المؤلفين، مجلة المنار ، المكتبة الشاملة.

- 2008 م، مجموع رسائل العلائي. الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة - جمهورية مصر العربية.
- الرازي. 1420، مفاتيح الغيب، تفسير دار إحياء التراث العربي. بيروت.